

المشاريع والمخططات الاستعمارية تجاه الوطن العربي من كامبل بنرمان 1907م، إلى الشرق الأوسط الكبير 2004م.

Colonial Projects Towards the Arab World from Campbell Pennerman Report, 1907, to the Greater Middle East, 2004.

– الأستاذة: التومي زينب¹

– المركز الجامعي قنراست

الملخص:

لقد أدرك الغرب منذ زمن بعيد أن الموقع الجغرافي الذي يتمتع به العالم العربي ووفرة إمكاناته الاقتصادية الهائلة وثرواته النفطية، ووزنه الحضاري، ووجود الإسلام فيه كطاقة روحية يشكل خطرا على مصالحه ويحد من إطماعه لذلك بذل جهودا كبيرا لتحجيم العالم العربي واحتواء أقطاره وإبقاء عناصر التجزئة فيه والعمل على تفتيته وجعله هدفا مستمرا لمخططاته ومما ساعده على ذلك انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وتشتيت القوى العربية واحتلال العراق. حاولت الدراسة رصد المشاريع الاستعمارية وما يخطط للمنطقة العربية في أروقة السياسة الغربية والأمريكية بهدف إعادة ترتيبها من جديد، ويبرز هذا التخطيط من وصية بنرمان إلى مبادرة الشرق الأوسط الكبير.

وفي هذه الدراسة تم تسليط الضوء على اتفاقية سايس-بيكو، ووعد بلفور أين وجه الغرب بزعامة بريطانيا طعنة نجلاء للشريف حسين والقوميين العرب، وقررت الإشارة إلى معاهدة سفر وسان ريمو وتوزيع الانتدابات والنفط بين الحلفاء، كما تم استعراض المشاريع المحاولات الغربية لدمج منطقة الشرق الأوسط ومن ضمنها الدول العربية في إطار إقليمي أبرزها التصريح الثلاثي 1950.

وبعد أن ورثت الولايات المتحدة بريطانيا وفرنسا في منطقة الشرق الأوسط وفشل العدوان الثلاثي على مصر 1956، خرجت بمشروع إيزنهاور 1957 ومحاوله ربط المنطقة بعدد من الاتفاقيات العسكرية والاقتصادية بدعوى مقاومة أي عدوان شيوعي؛ وتم التطرق إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير. الكلمات المفتاحية: الشرق الأوسط الكبير – الولايات المتحدة – وعد بلفور.

Abstract:

In this study initially touched on the historical roots of term the Greater Middle East and talk about the Sais-Picot Agreement, and Balfour's promise of the British-led, the San Remo Treaty and the distribution of mandates and oil among the Allies.

The study sheds light on the conventions to the Integration of Arab countries in a regional context, Among most notably The Tripartite Declaration

¹ – البريد الإلكتروني: toumi356@gmail.com

المشاريع والمخططات الاستعمارية تجاه الوطن العربي

of 1950, also called the Tripartite Agreement of 1950, was a joint statement by the United States, United Kingdom, and France to guarantee the territorial status quo that had been determined by the 1949 Arab–Israeli Armistice Agreements.

After the United States inherited Britain and France in the Middle East and the failure of the tripartite aggression against Egypt in 1956, and in 1957 appeared the Eisenhower project and the United States tried to link the Arab region with a number of military and economic agreements on the pretext of resisting any communist aggression. The Greater Middle East project was discussed and his objectives and study Greater Middle East project in terms of political, and military, economic and cultural.

Key words: Greater Middle East- United States,- Balfour's promise

تمهيد:

يحتل العالم العربي مركزا جغرافيا ممتازا فتلتقي عنده قارات ثلاثة هي أوروبا وإفريقيا وآسيا ومن هنا تأتي أهميته كونه يقع في قلب العالم القديم ومركزه الاستراتيجي وقد استطاع بفضل هذا الموقع الفريد أن يربط بين الغرب الذي يمثلته العالم الأوربي والشرق الذي يمثلته العالم الآسيوي، وبعد اكتشاف النفط تحول الاهتمام الدولي من الموقع إلى الثروة الدفينة في أرضه.

- الجذور التاريخية للشرق الأوسط الكبير:

تعرف المنطقة باسم الشرق الأوسط ويعتبر هذا المصطلح من أكثر المصطلحات شيوعا واستخداما، ويمكن القول إن الشرق الأوسط صعب التحديد بصورة واضحة أو قاطعة، ولا يرجع السبب في ذلك إلى أن الإقليم مجرد ابتكار لفظي في قاموس السياسة العالمية منذ أواخر القرن العشرين ولكن السبب في صعوبة تحديد الشرق الأوسط راجع إلى أنه إقليم هلامي القوام بمعنى أنه يمكن أن يتسع ويضيق على خريطة العالم⁽¹⁾.

مصطلح الشرق الأوسط تعبير سياسي يترتب عليه دائما إدخال دول غير عربية في المنطقة وفي أغلب الأحيان إخراج دول عربية منها، ويبدو مصطلح الشرق الأوسط في الكتابات الغربية كم منطقة تضم خليطا من القوميات والسلالات والأديان والشعوب واللغات القاعدة فيه هي التعدد والتنوع وليس الوحدة والتماثل².

ومفهوم الشرق الأوسط لا يعبر عن اصطلاح محايد فقد ورد في دراسات غربية عديدة تناولت أبعاد جغرافية واقتصادية واجتماعية وثقافية واتجهت لترسيخ هذا المفهوم بدوافع سياسية استراتيجية وروجت الكتابات الغربية لهذا المفهوم من القرن الماضي حينما ذاع صيته في الفكر الاستراتيجي الإنجليزي، ويعود مفهوم الشرق الأوسط إلى رجل الاستخبارات البريطاني توماس ادوارد جوردن 1833-1914، الذي كان أيضا مدير البنك

(1) يحيى أحمد الكعكي، الشرق الأوسط والصراع الدولي، دراسة عامة لموقع المنطقة في الصراع، بيروت: دار النهضة العربية 1986، ص 141-146.

(2) علي الدين هلال، وجبل مطر، النظام الإقليمي العربي دراسة في العلاقات السياسية العربية، ص 21.

الأستاذة: التومي زينب

الإمبراطوري الفارسي في مقالة كتبها ينه فيها الحكومة البريطانية إلى الخطر الروسي على المصالح البريطانية في الهند من خلال تقدمها في بلاد فارس إيران حالياً⁽¹⁾.

ولكن مفهوم الشرق الأوسط ارتبط في الأوساط الأكاديمية بالجنرال الأمريكي ضابط البحرية الأمريكي هو الكابتن ألفريد ماهان *Alfred Mahan* الذي كتب مقال في سبتمبر 1902م عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ونشرته إحدى الدوريات البريطانية نبه فيه الحكومة البريطانية لأهمية الشرق الأوسط للإمبراطورية، ثم أعقبه فالتاين شيرويل *Valentie chirol* مراسل الشؤون الخارجية لصحيفة التايمز بسلسلة مقالات حول مسألة الشرق أوسطية ثم جاء كتاب هاملتون الذي يحمل عنوان "مشاكل الشرق الأوسط" والذي صدر في لندن سنة 1909⁽²⁾.

وبعد الحرب العالمية الأولى اكتسب هذا المصطلح ذيوفا حيث أنشأ ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني وقتها ما عرف بإدارة الشرق الأوسط وذلك عام 1921، حيث أنيط بإدارة شؤون فلسطين وشرق الأردن والعراق وفي الحرب العالمية الثانية أنشأ البريطانيون مركز تموين الشرق الأوسط وقيادة الشرق الأوسط⁽³⁾. *George Lenzowski* يقول جورج لوزوفسكي في مؤلفه الشهير "الشرق الأوسط في الشؤون العالمية *The Middle East in world Affairs*"، لا يمكن لأي سياسة خارجية رشيدة أن "تتجاهل الشرق الأوسط وأثره على بقية مناطق العالم"، وقد كان الشرق الأوسط عبر العصور ولا يزال محط أنظار العديد من الفاتحين وبناء الإمبراطوريات والقوى العظمى، إلى جانب الكثير من العلماء والدارسين والمهتمين بالشؤون الدولية⁽⁴⁾.

من جانب آخر يعود الغموض الذي يكتنف تحديد إقليم الشرق الأوسط إلى أن هناك نوعاً من المفهوم المسبق أدى إلى التباس بين ثلاثة مصطلحات: الشرق لأوسط، العالم العربي والعالم الإسلامي، فالعالم العربي يشتمل على الجزء الغربي من الشرق الأوسط، ويمتد خارجه إلى شمال إفريقيا ونطاق السافانا من السنغال إلى السودان. أما العالم الإسلامي فيشمل كل الشرق الأوسط ويمتد في ما وراءه في شتى الاتجاهات الجغرافية، وأكثر الغموض الذي يجعل تحديد الشرق الأوسط أمراً غير سهل المنال راجع إلى كثرة الأسماء والمصطلحات التي استخدمت في الماضي وتستخدم في الحاضر للإشارة إلى كل إقليم أو إلى جزء منه، ومن هذه المصطلحات:

(1) - أحمد سليم البرصان، "مبادرة الشرق الأوسط الكبير: الأبعاد السياسية والاستراتيجية"، مجلة السياسة الدولية، العدد، 158، أكتوبر 2004، ص 42.

(2) - عبد القادر رزق المخادمي، مشروع الشرق الأوسط الكبير الحقائق والأهداف والتداعيات، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2005 ص-ص، 36-37. أنظر أيضاً: أحمد سليم البرصان، مرجع سابق، ص 42.

(3) - عبد القادر رزق المخادمي، مرجع سابق، ص 36-37.

(4) - ممدوح مصطفى منصور، "الصراع الأمريكي السوفيتي في الشرق الأوسط"، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995، ص 65.

المشاريع والمخططات الاستعمارية تجاه الوطن العربي

الليفانت⁽¹⁾ الشرق القديم أو الأقدم، الصحاري الكلاسيكية، جنوب غرب آسيا، الشرق القريب، الشرق الأدنى، الشرق الأوسط.

وتكاد تجمع الكتابات المختلفة في الوقت الراهن على استخدام مصطلح الشرق الأوسط كبديل للمصطلحات السابقة. ففي الإنجليزية والفرنسية والعربية وفي تصنيفات الأمم المتحدة وفي كثير من الكتب السنوية التي تعالج أقاليم معينة، يتردد اسم الشرق الأوسط على أنه الإقليم الذي يشتمل على الدول الممتدة من إيران إلى مصر ومن تركيا إلى اليمن، وقد يضيف كاتب أو هيئة ليبيا أو السودان أو برقة وشمال السودان فقط، وبذلك يقتصر الشرق الأوسط على مجموعة دول غرب آسيا بإضافة مصر (والسودان وليبيا أحيانا)، وتخرج اليونان رغم أنها حضارية تشبه إقليم الشرق الأوسط.⁽²⁾

حين نشبت الحرب العالمية الأولى واشتدت وطأة المحور وأنصاره على الإنجليز وحلفائهم لجؤا إلى استغلال كل ما يمكن أن يعينهم على النصر فاتصلوا بالشريف حسين بن علي شريف مكة الذي كان يسعى هو الآخر للاتصال بهم وتم الاتصال عن طريق السير هنري ماكماهون مندوبهم السامي في القاهرة وتبادل الحسين ومكماهون عشر رسائل انتهت باعتراف بريطانيا للشريف حسين باستقلال البلاد العربية وفي مقابل ذلك تعهد الشريف حسين بإعلان الثورة على الأتراك والانضمام إلى الحلفاء⁽³⁾

وكان من أهم دوافع الثورة العربية طموح الشريف حسين الشخصي إلى استعادة ما انتزعت الدولة العثمانية أمجاد أجداده وما اعتبره حقوق الشرافة التي كانت لأسلافه ومن الناحية القومية تصاعد نشاط الحركة العربية ورغبة العرب في الانفصال عن الدولة العثمانية، كذلك جور الاتحاديين الذين سيطروا على الحكم بعد عام 1908 ومحاولتهم طمس الثقافة العربية و شدد الاتحاديون من سياساتهم المركزية وبطشهم بالزعماء العرب، خاصة في سوريا حيث كانوا يمارسون نشاطهم السياسي، وجاءت أحكام الإعدام على نخبة من الشباب العرب، فطالب أقطاب الحركة الوطنية في سوريا بأن الحجاز يتولى المبادرة في إعلان الثورة وأن على الشريف حسين أن يتولى قيادتها و وزعامتها⁽⁴⁾.

هنا نرى أن العرب القوميين وقفوا إلى جانب الحلفاء لتحقيق هدفهم القومي، وخلال الثورة انضم الكثيرون من العرب المجندين في الجيش التركي إلى الثورة، وفي نفس الوقت بقيت الأغلبية الساحقة من العرب على ولائها للدولة العثمانية التي هي في نظرهم دولة الخلافة الإسلامية انقسم الشارع العربي إلى فريقين أساسيين:
- **الفريق الأول**، وجد الفرصة سانحة للتخلص من النظام التركي الجائر، بكل ما فيه من ظلم وقمع واضطهاد، امتد تاريخها إلى زمن بعيد، مستبشرا في الوقت نفسه، بطروحات الحرية والديمقراطية والاستقلال القومي والوحدة العربية التي كان الغرب، دول الحلفاء، يبشر بها العرب ويعددهم بتحقيقها فور انتهاء الحرب وانتصاره.

(1) **الليفانت**: معناها الشرق، أو المكان الذي تشرق منه الشمس. وهو اصطلاح قديم ربما يعود إلى العهد الإغريقي أو الروماني، وكان يشير إلى سكان شرق البحر الأبيض المتوسط "فلسطين-سوريا-ولبنان".

(2) يحي أحمد الكعكي، مرجع سابق، ص 141-

(3) حسن صبري الخولي، فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، الجمهورية العربية المتحدة، 1968، ص 11.

(4) قدرى قلججي، الثورة العربية الكبرى 1916-1925، بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 1994، ص 189.

الأستاذة: التومي زينب

-الفريق الثاني وقف موقف الحذر من طروحات الغرب ونواياه، فلم يصدقها ولم يطمئن إليها، لذلك تمسك بالسلطة التركية وبالأمر الواقع رغم ما فيه من جور وعنصرية وقمع مخابراتي، لا حبا به بل خوفاً من الغرب وما يحمله من مشاريع ومخططات ومؤامرات محتملة، ولعل من الصعب جداً أن تدافع عن شر قائم تفاديا لشر أكبر منه وأخطر، وربما لذلك، رجحت كفة الفريق الأول شعبيا ولا سيما في الحجاز والعراق وبلاد الشام؛ في هذا المناخ الشعبي، أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك متحالفاً مع الفرنسيين، والانكليز، فانضم إليه معظم الشباب العرب في الجيش التركي، وتهاافت إليه معظم المجاهدين من كل حذب وصوب... ليتشكل من هؤلاء نواة أول جيش عربي حديث منذ عصور، ولكن بتوجيهات عسكرية غربية خطة وهدفاً وقرارا وتسليحا وتمويها... دفع الانكليز بالجيش العربي إلى الصفوف الأولى في المعارك التي تتالت من الحجاز إلى ما وراء حلب، أي إلى الحدود التركية حالياً، ليتحمل بذلك معظم التضحيات الجمة والخسائر الفادحة في مواجهة الأتراك وحلفائهم من دول المحور.

ما إن وصلت الجيوش المنتصرة إلى الأراضي التركية، حتى توقفت الحرب، دون المساس بوحدة تركية وسيادتها، وأخرج الحلفاء من جعبتهم ما كانوا قد اتفقوا عليه سابقا فيما بينهم، وفي طليعة ذلك تقرير «كامبل بنرمان»، واتفاقية «سايكس بيكو»، و«سان ريمون»، و«وعد بلفور»... ضارين بعرض الحائط الوعود التي أعدها على العرب في الوحدة والحرية والديمقراطية والاستقلال القومي، وغير ذلك. وهكذا نام الشريف حسين على أحلام الوحدة والحرية والعدالة. ليستيقظ وقد وجد نفسه محققاً، من حيث لا يشعر ولا يريد، لمصالح الغرب وأهدافه الاستعمارية العليا.

لقد اتضح مدى ما يحمله الغرب للأمة العربية من خطط استراتيجية بعيدة المدى بما انطوت عليه من خداع ودهاء، لا نزال نعيش آثارها إلى يومنا هذا.

فما هي أهم هذه الخطط والاتفاقيات التي أصر الغرب على تطبيقها بكل ما تحويه من دلالات وأهداف وغايات؟؟

- أولاً، تقرير كامبل بنرمان (1907م):⁽¹⁾

(1)- يشير الدكتور محسن صالح في دراسة له أنه هو بعض الباحثين وجدوا هذه الوثيقة في مصادر ومراجع عربية محترمة؛ ولكنهم معروفين بحرصهم على الدقة، بالإضافة إلى ملف وثائق فلسطين الذي صدر عن المؤسسة الرسمية المصرية التي يفترض فيها علمياً مصداقية عالية. وكان ممن استخدم هذه الوثيقة في كتاباته ومحاضراته قبل أن ينتبه إلى إشكالياتها. بأن الوثيقة غير موجودة بعد رحلة بحث قام بها وفي سفره لبريطانيا تفرغ للبحث عن هذه الوثيقة، غير أنه لم يجد لها أثراً؟ وقبله د. أنيس صايغ ولم يوفق في إيجادها لكن وجد وثائق تشير إن انعقاد مؤتمرات استعمارية إمبريالية في تلك الفترة، وتوجد في الوثائق البريطانية مئات الملفات والوثائق والشواهد حولها. غير أن نص الوثيقة المسماة وثيقة كامبل بنرمان غير موجود بين هذه الوثائق. 2- ويقول إن عدم حصولنا على وثيقة كامبل لا يثبت بالضرورة أنها غير موجودة بالصيغة نفسها أو بأي صيغة مشابهة. ولكننا في الوقت نفسه لا نستطيع الادعاء بوجود شيء لم يثبت وجوده بشكل قاطع. ينظر: وثيقة كامبل بنرمان. حقيقة أم مزيفة؟!، الجزيرة انترنيت. أما الدكتور جاسم سلطان يذكر في كتابه فلسفة التاريخ أنه قد أفرج على وثيقة كامبل لانتهاؤ مدة حبسها القانوني لمدة أسبوعين فقط ثم أعيدت خوفاً من آثارها الممتدة. ينظر: جاسم سلطان، فلسفة التاريخ، الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، ط4، أم القرى للترجمة والنشر، 2005، ص77.

المشاريع والمخططات الاستعمارية تجاه الوطن العربي

وهو خلاصة ما اتفقت عليه الدول الأوروبية في المؤتمر الذي عقد في لندن وسمي باسم رئيس وزراء بريطانيا يوم ذاك. والذي شاركت فيه كل من: بريطانيا، فرنسا، بلجيكا، هولندا، البرتغال، إيطاليا، إسبانيا، ومما جاء فيه: «ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة (الوطن العربي) عن جزئها الآسيوي عن طريق إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا، ويربطهما معا بالبحر المتوسط، حيث تقوم في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار (إسرائيل)، وعدوة لسكان المنطقة.⁽¹⁾» و أوصى المؤتمر أيضا الدول ذات المصالح المشتركة بالعمل على استمرار وضع هذه المنطقة المجزأ والمتأخر وعلى إبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل وتخلف.⁽²⁾

- ثانيا، اتفاقية سايكس بيكو:

آن للحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى أن يحلوا المسألة الشرقية نهائيا وذلك بالاتفاق على تجزئة الإمبراطورية العثمانية واختمرت فكرة التقسيم عندما توصلت بريطانيا وفرنسا إلى عقد اتفاقية سرية مع روسيا عقدت اتفاقية سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في ربيع 1916⁽³⁾.

وهي الاتفاقية التي نتجت عن لقاء وزيري خارجية كل من فرنسا وبريطانيا عام 1916م، وبدأت الاتصالات في أوائل عام 1915، وأبرمت اتفاقيات بين فرنسا وبريطانيا وروسيا ولم يكد مكماهون ينجز صفقة مع الشريف حسين حتى ابتدأت وزارة الخارجية البريطانية مباحثات في لندن مع الحكومة الفرنسية، وفيها تم الاتفاق على أن تحقق روسيا أطماعها وتضم استانبول والمضايق إلى ممتلكات القيصر واعترفت روسيا بالمقابل بحقوق فرنسا وبريطانيا في الممتلكات العثمانية الآسيوية حيث تمتد حصة بريطانيا من أقصى جنوب سوريا ويشمل كلاً من العراق بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين الخليج والمنطقة المخصصة لفرنسا ويكون ميناء حيفا وعكا من ضمن حصة بريطانيا ولونت على الخريطة بالأحمر، واحتفظت فرنسا بالقسم الأكبر من سوريا وبقسم عظيم من الأناضول ومنطقة الموصل في العراق ولونت بالأزرق على الخريطة.⁽⁴⁾

وبعد انتهاء الحرب، تقوم كل دولة من الدولتين فرنسا وبريطانيا بتقسيم حصتها إلى دولتين متباينتين في الإدارة والنظم والمؤسسات وغير ذلك، وكانت حصة فرنسا من قسمين واحد أزرق والثاني يشار إليه بالحرف "أ"، وجعلت حصة بريطانيا واحد بالأحمر والثاني يرمز إليه بالحرف "ب"، وهكذا نتج عن هذه الاتفاقية أربع دول جديدة، بالإضافة إلى دولة الحجاز وما أعقبها من إمارات متعددة، هي ما نسميه اليوم منطقة الخلي؛ وتقرر أن تكون منطقة لونت بالبنّي على الخريطة هي فلسطين تحت حكم دولي خاص.⁽⁵⁾

(1)- حسن صبري الخولي، فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، الجمهورية العربية المتحدة، 1968، ص10.

(2)- نفسه، ص10.

(3)- جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ط8، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت: دار العلم للملايين 1987، ص348.

(4)- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1922، بيروت: دار النهضة العربية، ص461. ينظر أيضا: جورج انطونيوس، مصدر سابق، ص350.

(5)- جورج انطونيوس، مصدر سابق، ص350.

الأستاذة: التومي زينب

ولقد كانت هذه الاتفاقية طعنة للشريف حسين والعرب فهي مناقضة لما فهمه من اتفاقه مع بريطانيا كما أنها اتفاقية مزقت منطقة الشرق العربي للحيلولة دون تقدمها ووحدتها وعندما علم الشريف حسين بأمر الاتفاقية واستفسر حليفه لم تعدم وسيلة للتهرب والخداع فاستمر في ثقته في بريطانيا معتقداً أنها ستقف إلى جانبه بعد الحرب وكان ممثلوا بريطانيا في الشرق العربي وعلى رأسهم لورانس يغذون هذا الشعور⁽¹⁾.

- ثالثاً، وعد بلفور عام 1917م:

لم تكن اتفاقية سايكس-بيكو هي الطعنة الوحيدة التي وجهتها بريطانيا لعرب الشرق بل وجهت إليهم طعنة أخرى ولا تزال الدماء تنزف من جرحها حتى اليوم، وذلك عندما أصدر وزير خارجية بريطانيا في 02 نوفمبر 1917م، تصريح بلفور⁽²⁾.

وهو الوعد الذي أعطى فيه وزير خارجية بريطانيا بلفور (باسم حكومة جلالة الملكة) فلسطين وطناً قومياً لليهود، والذي جاء تنفيذاً لما ورد في تقرير كامبل بنرمان، الأنف الذكر.

ولقد وضعت هذه الاتفاقيات والخطط موضع التطبيق الفوري والعملية لتبين لنا كم كان الشريف حسين بسيطاً وطيب القلب في تعامله مع الغرب والتي لا تقيم وزناً لمصالح الشعوب أو للقيم الإنسانية الفاضلة. فالشرق الأوسط ليس اسماً بل هو فكرة قديمة تجاوزت ما أعلنه شيمون بيريز عام 1991 عن مصطلح الشرق الأوسط الجديد، وهو مختلف عما الشرق الأوسط الكبير الذي يدعو إليه المسؤولون في إدارة الرئيس الأميركي السابق جورج بوش... هذا القدم يعود الى بدايات القرن العشرين على المنطقة الواقعة بين الهند والجزيرة العربية، ثم تم تداوله كثيراً بعد الحرب العالمية الأولى كما تركز هذا المصطلح في وثائق التسويات الدولية التي أعقبت تلك الحرب وبخاصة تلك التي عقدت في سيفر³ وسان ريمو⁴ بين سنتي 1919 و1920 وموجبها تم اقتسام المشرق العربي وثوراته النفطية بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. وفي مؤتمر سان ريمو 19_26 أبريل 1920م، تقاسمت كل من بريطانيا وفرنسا الأراضي العربية، وقد تبع عملية توزيع الانتدابات اتفاق نفطي وقعته الدولتان 24_25 أبريل باسم شركة النفط التركية *Turkish Petroleum Company*⁽⁵⁾.

(1) محمود صالح المنسي، الشرق العربي المعاصر، 1990، ص 10.

(2) نفسه، ص 10.

(3) وقع مجلس الحلفاء الأعلى مع تركيا معاهدة سيفر في 10 أوت عام 1920م، بمدينة سيفر الفرنسية القريبة من باريس وقضت المعاهدة على سلخ الولايات العربية عن الدولة العثمانية، وكانت تضم سوريا لبنان فلسطين، الأردن والعراق ونصت المادة 22 من الميثاق على الاعتراف بكيان هذه الولايات كدولة مستقلة خاضعة للتوجيه والإرشاد حتى تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها وأقامت الدول المنتدة حكومات محلية في هذه الأقاليم، وباستثناء فلسطين، ينظر: شفيق الرشيدات، فلسطين تاريخاً... وعرة... ومصريا، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991، ص 72.

(4) في 25 أبريل من عام 1920، انعقد مجلس الحلفاء الأعلى للحلفاء في سان ريمو وقرر بناء على المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم، ووفق لرغبات الشعوب وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ووضع العراق تحت الانتداب البريطاني مع احترام رغبات الأقطار. ينظر: شفيق الرشيدات، مرجع سابق، ص 71.

(5) وهو مشروع استثماري إنجليزي-ألماني حاز على امتيازات التنقيب شمال العراق من الصدر الأعظم في 28 جوان 1914م، قبل نشوب الحرب، ولم يصادق عليه مجلس المبعوثان. وموجبه حصلت الشركة البريطانية -الأنجلو- إيرانية منذ أن حصل المغامر الاسترالي "وليام توكس دارسي" على امتياز للتنقيب على البترول واستغلاله عام 1901م، في جبال إيران الصخرية القريبة من الخليج العربي اتجه ببصره نحو العراق فأعد تقرير عن احتمالات البترول

المشاريع والمخططات الاستعمارية تجاه الوطن العربي

وقد خشيت وزارة الخارجية الأمريكية أن يشمل تقسيم السيادة على المناطق العربية تحت الانتداب، الإشراف المطلق على الموارد الطبيعية فيها، واعتبرت أن اتفاقية سان ريمو للنفط هي دليل التواطؤ البريطاني الفرنسي، ولم تعترف وزارة الخارجية الأمريكية بتحريض من صناعة النفط بالامتيازات الممنوحة في العهد العثماني كما أبلغت الحكومة الأمريكية السفير البريطاني في واشنطن بأنها لا ترى في اتفاقية النفط في سان ريمو، بين بريطانيا وفرنسا، الحل المناسب لتنظيم الفرص الاقتصادية في مناطق الانتداب ولا تعترف بها⁽¹⁾.

وبرر كيرزون⁽²⁾ اتفاقية سان ريمو النفطية بأنها بمثابة تعويض لفرنسا عن تنازلها عن حقوقها في الموصل؛ وردت الولايات المتحدة بأن عدم انضمامها إلى عصبة الأمم لا يصح أن يحرمها من المكاسب التي يتضمنها مبدأ تكافؤ الفرص خاصة وأن الانتدابات في الشرق الأوسط وليدة النصر العام الذي أحرزه الحلفاء والذي كان لا يمكن أن يتحقق بدون المساهمة الأمريكية⁽³⁾.

وتذرعت وزارة الخارجية الأمريكية أنها الدولة التي ساعدت بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا والدولة العثمانية مما يعطيها حق اقتسام الغنائم بعد أن قدمت المساعدة اللازمة للحلفاء خلال الحرب، بما فيها النفط الذي ساعد في تشغيل معداتها الحربية.

لاشك أن الظروف والصعوبات التي أحاطت بالامتيازات البريطانية جعلتها تتساهل محاولة منها لكسب التأييد الأمريكي قبل انعقاد مؤتمر لوزان 1923،⁽⁴⁾ وذلك لأن الحكومة التركية الجديدة أخذت تطالب بضم منطقة الموصل وكان من الممكن أن تدعم حكومة الولايات المتحدة المطالب التركية، بالإضافة إلى الادعاءات التركية كانت الموصل تعاني من تمرد القبائل الكردية، وافقت الحكومة البريطانية على اتفاقية نهائية في 31 جويلية

في كل من بغداد والموصل، وعرضه على الحكومة التركية صاحبة السيادة على العراق، كما عرضه على الحكومة البريطانية، واستناد إلى تقرير دراسي تكونت شركة البترول التركية عام 1912م، من كل من تركيا وإنجلترا وألمانيا، وقد حصلت الشركة على إذن من الحكومة التركية بالبحث عن البترول في كل من ولايات الموصل وبغداد والبصرة ولكن إنجلترا ما لبثت عام 1913م، استولت على نصيب تركيا في الشركة فصار للحكومة الإنجليزية 50% من أسهم الشركة بينما تقاسمت كل من ألمانيا وشركة شل Shell الإنجليزية الهولندية للبترول بقية الأسهم 50%، وانتقلت الحصة الألمانية إلى فرنسا بموجب الاتفاقية الإنجليزية الفرنسية سبتمبر 1919م، ينظر: رأفت غنيمي الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، ص 39.

(1) - خيرية قاسمي، مرجع سابق، ص 57.

(2) - كرزون: أحد مشاهير رجال الحكم في الإمبراطورية البريطانية على مدار 27 سنة، شغل منصب نائب الملك حاكماً عاماً للهند البريطانية ما بين 1898 و 1905 أيام الملكة فكتوريا والملك إدوارد. وشغل موقع وزير خارجية بريطانيا من 1919 وحتى أيام الملك جورج الخامس. ينظر: حياة اللورد كرزون في كتاب ضمن سلسلة رواد المشرق العربي، جريدة البيان، الامارات، 6 أوت 2014.

(3) - مصطفى أحمد عبد الرحيم، مرجع سابق ص 16.

(4) - عقدت معاهدة لوزان بين الحلفاء وتركيا في 24 جويلية 1923، وحلت المعاهدة محل معاهدة سيفر، وكانت قد دعت إليها أُنقرة في عام 1922، من أجل عقد معاهدة صلح واشترط كرزون رئيس الوفد الإنجليزي أربعة شروط: من بينها إلغاء الخلافة، وإعلان علمانية الدولة رفض الوفد التركي المطالب وأيده المجلس الوطني في تركيا وعاد إلى بلاده غير أن مصطفى كمال قرر تنفيذ ذلك وفي 24 جويلية 1923 جرى التوقيع على المعاهدة لوزان التي نصت على عودة السيادة التركية على كل الأراضي التي تشمل عليها تركيا الحالية وألغت الامتيازات الأجنبية كما صدر قرار بإعلان تركيا دولة جمهورية برئاسة مصطفى كمال، وتبع ذلك إلغاء الخلافة بعد عام 1924، وصدر أمر للسلطان عبد المجيد بمغادرة البلاد. أنظر: إسمايل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، ط 1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1996، ص 231.

الأستاذة: التومي زينب

1928م، ثم التوقيع على اتفاق النزاهة المعروف باتفاقية الخط الأحمر بصدد مساهمة الرأسمال الأمريكي في شركة النفط التركية والتي أصبحت تعرف منذ 1929م، شركة نفط العراق⁽¹⁾.

وعندما أعلنت دولة إسرائيل عام 1948، واغتصبتها فلسطين فقد اعتبر بن جوريون أن إسرائيل في محيط من العرب السنة فركزت إسرائيل على مفهوم الشرق الأوسط للتدليل الحضاري على المنطقة ليست أغلبية عربية وإنما هي أقليات عرقية ودينية ولذلك اهتمت وسائل الإعلام الإسرائيلية والدوائر الحكومية فيها بالترويج للشرق الأوسط وقضية الشرق الأوسط لتميع القضية الفلسطينية والشخصية العربي⁽²⁾.

إذ ثمة محاولات عربية بذلت لدمج منطقة الشرق الأوسط ومن ضمنها الدول العربية، في إطار إقليمي أبرزها **التصريح الثلاثي في 20 ماي 1950**:⁽³⁾ التصريح الثلاثي في 20 ماي 1950 الذي أصدرته أميركا وفرنسا وبريطانيا وكان الهدف من هذا التصريح ضمان أمن إسرائيل وتهديد العرب إذا ما قرروا استعادة أراضيهم بالقوة تضمن معارضة الحكومات الثلاث لسباق التسلح بين الدول العربية وإسرائيل، واتفقت الدول الثلاثة على العمل سويا في إطار الأمم المتحدة وخارجها لمعارضة أي محاولة لتعديل خطوط الهدنة ل 1949 بالقوة، وإصرارها على منع اختلال توازن القوى بين العرب وإسرائيل⁽⁴⁾.

ثم جاء إنشاء **حلف بغداد 1955**: ليكون بمثابة التطبيق العملي لواحدة من المشاريع الهادفة لتطويق الاتحاد السوفيتي. تابعت إدارة الرئيس إيزنهاور 1953-1961، السياسة الأمريكية التقليدية في الشرق الأوسط وتبنى استراتيجية الدفاع الغربي عن الشرق الأوسط، والتوسع في بناء القواعد العسكرية التي تستخدم لتطويق الاتحاد السوفيتي، وكانت منطقة الشرق الأوسط بموقعها المتأخم للاتحاد السوفيتي مهمة للأمن القومي الأمريكي، بهذا برزت الحاجة من وجهة النظر الأمريكية لربط دول المنطقة في منظومة أحلاف وتكتلات عسكرية⁽⁵⁾ واثّر إخفاق العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م حاولت الولايات المتحدة إن ترث بريطانيا وفرنسا في منطقة الشرق الأوسط فخرجت في العام 1957 **بمشروع اينزنهاور**: الذي كان يقضي بربط المنطقة بعدد من الاتفاقيات العسكرية والاقتصادية بدعوى مقاومة أي عدوان شيوعي سواء من الخارج أو من الداخل.

توالت الخطط الغربية والخرائط لتغذية مفهوم تقسيم الشرق الأوسط، الذي يصب في مصلحة استقرار إسرائيل؛ ففي فيفري 1982 نشرت خطة الصحفي الإسرائيلي أودد ينون في مجلة «كيفونيم» الإسرائيلية تحت عنوان " استراتيجية لإسرائيل في الثمانينات"، وقدمها إلى العالم باللغة الإنجليزية الحقوقية وأستاذ الكيمياء العضوية

(1) - مصطفى أحمد عبد الرحيم، مرجع سابق ص 16. أنظر أيضا: خيرية قاسميه، مرجع سابق، ص 59.

(2) - أحمد سليم البرصان، مصدر سابق، ص 43.

(3) - **التصريح الثلاثي**: هو تصريح الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا أثناء الاجتماع الذي عقده وزراء خارجيتها في لندن لبحث بعض المسائل المتعلقة بالسلم والاستقرار في الدول العربية ودولة إسرائيل وخاصة إرسال أسلحة ومواد حربية إلى هذه الدول وقررت الحكومات الثلاث إصدار تصريح تضمن معارضة الحكومات الثلاث لسباق التسلح بين الدول. العربية وإسرائيل ينظر: ملف وثائق فلسطين، وزارة الإرشاد القومي الهيئة العامة للاستعلامات، ج 1، ص 1077، الوثيقة رقم 259.

(4) - ملف وثائق فلسطين، مصدر سابق، ص 1077، الوثيقة رقم 259.

(5) - إبراهيم خليل العلاف، «جون فوستر دالاس وسياسته الشرق أوسطية 1953-1959»، جريدة دنيا الوطن، بغداد، 1916/30/22.

المشاريع والمخططات الاستعمارية تجاه الوطن العربي

الإسرائيلي الأمريكي «إسرائيل شاهاك»، تحت عنوان «خطة إسرائيل للشرق الأوسط». «وترتكز خطة «ينون» على مفتاحين رئيسيين يتخلصان في أنه على إسرائيل أن تتحول إلى قوة إمبريالية، وأنه يجب إعادة تقسيم العالم العربي⁽¹⁾ إلى دويلات صغيرة غير فعالة وغير قادرة على الوقوف في وجه الإمبريالية الإسرائيلية وتحطيم الدول المركزية مستغلة عدم التجانس العرقي والديني والإثني⁽²⁾ في سائر الدول العربية.⁽³⁾

يذكر أن هذه الوثيقة والمتعلقة بإقامة "إسرائيل الكبرى"، تشكل حجر الزاوية في سياسات القوى السياسية الصهيونية الممثلة في الحكومة الحالية لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، وكذلك في سياسات مؤسستي الجيش والاستخبارات الإسرائيليتين. وأشار إلى أن هذه الخطة تركز على إضعاف الدول العربية وتقسيمها لاحقاً كجزء من المشروع التوسعي الصهيوني، وعلى الاستيطان بالضفة الغربية وطردهم الفلسطينيين من فلسطين وضم الضفة وقطاع غزة لإسرائيل. وأضاف أن "إسرائيل الكبرى" ستضم أجزاء من لبنان وسوريا والأردن والعراق ومصر والسعودية، وستنشئ عدداً من الدول الوكيلية لضمان تفوقها في المنطقة، وأن وثيقة ينون هي استمرار لمخطط الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط⁽⁴⁾.

ظهرت خرائط المستشرق البريطاني برنارد لويس التي بدت وكأنها نموذج معدّل لخطة ينون، في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية، وبالرغم أن خطته اكتملت في بدايات الثمانينات إلا أن المعلومات التفصيلية عنها لم تنشر إلا في بداية التسعينات. وقد ظهرت ملامح خطته في مقال نشرته مجلة «فورين أفيرز» الأمريكية عام 1992م بعنوان «إعادة التفكير في الشرق الأوسط»، وكان ذلك في أعقاب حدثين تاريخيين مهمين، وهما تفكيك الاتحاد السوفيتي، ووقوع حرب الخليج الثانية الناجمة عن الغزو العراقي للكويت، وقد عد لويس تلك الحرب نهاية للفكر القومي العربي، وتوقع بحسه اليهودي أن يتخلى العرب بعدها عن حروبهم المباشرة ضد الكيان

(1) - "بلقنة" العرب: وأورد أن الاستراتيجي الإسرائيلي يرى العراق التحدي الاستراتيجي العربي الأكبر لإسرائيل، "وهذا ما جعل كاتب الوثيقة يحدد العراق بوصفه أكبر فصول "بلقنة" الشرق الأوسط والعالم العربي". ودعا ينون إلى تقسيم العراق إلى دولة كردية ودولتين عربيتين واحدة للشيعية وأخرى للسنة، وقال "مطلع الثمانينيات" إن الخطوة الأولى لتحقيق ذلك هي حرب بين العراق وإيران، وأشار إلى أن خطة جو بايدن نائب الرئيس الأمريكي أثناء حكم الرئيس باراك أوباما. تدعو الآن إلى نفس ما دعا إليه ينون. وأضاف أن ينون دعا أيضاً إلى تقسيم لبنان وسوريا ومصر وإيران وتركيا والصومال وباكستان، وتقسيم دول شمال أفريقيا، وتوقع أن يبدأ ذلك من مصر، وينتشر إلى السودان وليبيا وبقية المنطقة، وسيتم تقسيم الدول العربية وغيرها على أسس عرقية أو طائفية وفقاً لحالة كل دولة. ينظر: وثائق إسرائيلية قديمة تتحدث عن حروب المنطقة المعاصرة، الجزيرة نت، 2016/2/19.

(2) - يشير مصطلح العرق إلى مجموعة من البشر الذين يتشاركون خصائص جسدية متشابهة ومميزة، أما الاثنية فهي مجموعة من البشر الذين يجمعهم اسم جامع، وأسطورة عن الأصل المشترك (هذا ما يفسر عوامل التشابه بين أفراد المجموعة)، وتاريخ مشترك، وثقافة مميزة، ويرتبطون بإقليم محدد، إضافة إلى شعور عام بالتضامن بين أفرادها. مصطلح الاثنية بالظهور أكثر فأكثر باعتباره مصطلحاً أشمل، إذ لا يقتصر اهتمامه على الخصائص البيولوجية، بل يتعداها إلى الكثير من الأبعاد الثقافية وغيرها من الجوانب غير المادية في تكوين الهوية. ينظر إلى العرق باعتباره مصطلحاً يشير إلى تصنيف سلبى للناس يقوم على مبدأ الإقصاء، على عكس الاثنية الذي يروونه يدعو إلى تماثل إيجابي للجماعة يقوم على الإدماج بين الأفراد. ينظر: أنس أبو عريش، ما هو

الفرق بين العرق والاثنية؟ ولماذا يعتبر البعض -العرق- جريمة؟، جريدة دنيا الوطن، انترنت، تاريخ النشر: 2016-10-20.

(3) - أحمد عبد الله، "خطة أودد ينون: إسرائيل الكبرى"، جريدة احوال مصر 2016/09/07

(4) - وثائق إسرائيلية قديمة تتحدث عن حروب المنطقة المعاصرة، الجزيرة نت، 2016/2/19.

الأستاذة: التومي زينب

الصهيوني لينشغلوا بالنزاعات فيما بينهم، وهو ما سماه «نهاية القومية العربية»، ما يعني فقدان الوظيفة الأساسية للأنظمة العربية.⁽¹⁾

إن برنارد لويس أول الداعين إلى مشروع تقسيم وتجزئة الشرق الأوسط من باكستان إلى المغرب العربي حيث طرح هذا الموضوع عشية إقامة الإمبريالية الغربية للكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة 1948م، ثم نشر المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" الإنجليزي الأصل، الأمريكي الجنسية، دراسة في مجلة وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) يقترح فيها إعادة وزيادة تفتيت العالم الإسلامي من باكستان إلى المغرب، وإنشاء أكثر من ثلاثين كيانا سياسياً جديداً. وهذا الحديث يعني تحويل العالم العربي والإسلامي إلى "فسيفساء ورقية" تقوم فيها 88 دولة، بدلاً من 56 دولة، بما يعنيه هذا التقسيم المقترح من شقاكات وصراعات وحروب وآلام، تزيد هذه الكيانات ضعفاً فوق ضعفها، وهزلاً فوق هزلها، ولقد كان برنارد لويس صريحاً عندما قال: "إن هذا التفتيت للعالم الإسلامي هو الضمان الحقيقي لأمن إسرائيل، التي ستكون الأقوى وسط هذه "الفسيفساء".⁽²⁾

الشرق الأوسط الكبير وامتداده، أي الشرق الأوسط الجديد، هو محور السياسة الأمريكية والغربية تجاه المنطقة وترتكز هذه السياسة إلى أن الشرق الأوسط بحدوده القائمة عفا عليه الزمن، وأن تقسيم سايكس بيكو عام 1916 قد تآكل وتدهور ولم يعد يستجيب لحاجات المنطقة، والاستراتيجية الأمريكية، وضرورة تفكيك الدول القائمة إلى دويلات تضم طوائف ومذاهب، وهذا المسار من الطبيعي في المنظور الأمريكي أن يتعمد بالدم والعنف ومن غير المتصور أن يمر مر الكرام.⁽³⁾

طرحت تل أبيب من خلال شمعون بيريز رؤيتها لما وصفه بالشرق الأوسط الكبير عام 1993، كان التوقيت الإسرائيلي ملائماً بعد تصدع منظومة الأمن العربي إثر غزو الكويت (1990) والحرب ضد العراق (1991) وكذلك بعد مؤتمر مدريد (1991) الذي أنهى مقولة صراع الوجود بين العرب وإسرائيل، وفتح الأبواب أمام نظام شرق أوسطي يملأ الفراغ الذي أحدثته انهيار النظام العربي.⁽⁴⁾

رغم كل شيء ومع كل هول الأذى الذي تلقاه العرب منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي، ظلت الرؤية الشرق الأوسطية تواجه ممانعة شديدة رفضت قبول إسرائيل كدولة شرق أوسطية حتى بوجود اتفاقيات السلام مع كثير من العواصم في المنطقة، ولتجاوز الرفض الشعبي دخل المفهوم من بوابة الاقتصاد، فعقد المؤتمر الاقتصادي حول الشرق الأوسط في الدار البيضاء عام 1994 وتكرر في القاهرة وعمان والدوحة، في محاولة لإدماج إسرائيل في النظام العربي من جانب ولتكريس واقع سياسي وفكري بديل عن فكرة القومية العربية التي سادت الوعي العربي والحركة السياسية العربية معظم زمن القرن العشرين.⁽⁵⁾

(1) - عبد العزيز التركي «الظل اليهودي وراء مشروعات التقسيم»، مجلة البيان، العدد: 352، 2016/1/9.

(2) - مشروع «برنارد لويس» لتقسيم الشرق الأوسط. الماضي والحاضر والمستقبل خرائط "جريدة الأمة: الاثنين/مايو

(3) - عبد العليم محمد، "الشرق الأوسط الكبير .. بين الأمس واليوم"، جريدة الأهرام، الأربعاء 15 من رجب 1438 هـ 12 أبريل 2017 السنة

141 العدد 47609

(4) - لقاء مكّي، "الشرق الأوسط الجديد.. اختلاق الفوضى"، الجزيرة انترنيت.

(5) - لقاء مكّي، "الشرق الأوسط الجديد.. اختلاق الفوضى"، الجزيرة انترنيت.

المشاريع والمخططات الاستعمارية تجاه الوطن العربي

فشلت هذه المحاولات أو توقفت بعد انتفاضة الأقصى عام 2000، لكن ذلك لم يكن يعني قط تخلي أصحاب المشروع عن أهدافهم، بقدر ما كان يمهّد للتحوّل نحو نمط مختلف من أساليب الهيمنة الأميركية، الانتقال إلى قدر أكبر من النمط الهجومي الذي لا يخشى من الإعلان بوضوح عن نيّاته... كان المحافظون الجدد قد تسلموا الإدارة في واشنطن بزعماء جورج بوش، فيما تولى أرييل شارون الحكم في تل أبيب، لقد بدأ عصر جديد للمنطقة والعالم، وبات إدارة البيت الأبيض الجديدة ترى أن أساليب بيل كلينتون الدبلوماسية لم تتمكن من استثمار انخيار الاتحاد السوفيتي، وبات عليها أن تكسر السطوة الأميركية، وهكذا باشرت بمشروعها العالمي للهيمنة على القرن الواحد والعشرين بالقوة مفتوحة ذلك من المنطقة العربية التي سيكون عنوانها: الشرق الأوسط الجديد.⁽¹⁾

وتنادي مبادرة الشرق الأوسط بضرورة بدء الإصلاح في منطقة الشرق الأوسط التي تحددها المبادرة بدءاً موريتانيا في أقصى اليسار إلى باكستان في أقصى اليمين، وقد حددت المبادرة ثلاثة أهداف رئيسية كمدخل لعملية الإصلاح وهي: -تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح -بناء مجتمع معرفي-توسيع الفرص الاقتصادية، وتركز المبادرة على أهمية أن يكون للنساء العربيات دور قوي في الحياة العامة⁽²⁾.

لم تتوقف المسألة عند هذا الحد، بل انتقلت على المستوى الرسمي، عندما ظهر مصطلح «الشرق الأوسط الجديد» لأول مرة في 2006 على لسان وزيرة الخارجية السابقة، كوندوليزا رايس، ولادة مشروع «الشرق الأوسط الجديد»، وهذا المشروع تبلور بعد الهجمات الإرهابية التي ضربت برج التجارة في مدينة نيويورك في 11 سبتمبر 2001.⁽³⁾ وتوقيت إطلاق المبادرة كان قبل شهر من انعقاد مؤتمر القمة العربية مارس 2004، وبعد مرور عام واحد من احتلال العراق⁽⁴⁾.

التطور الأبرز الذي نتج عنه تحول جذري في العلاقات الدولية خاصة بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة والدول العربية والإقليمية من جهة أخرى؛⁽⁵⁾ حيث توحى المبادرة بأن الولايات المتحدة لن تتعامل مع العرب بمنطق العصا والجزرة بل بالعكس من ذلك وستتعامل بمنطق فرض الأمر الواقع ويدعم هذا الرأي التجاهل الأمريكي لرأي قادة الحكومات العربية في مسألة الإصلاح في الوقت الذي تشاورت فيه مع قادة الدول الأوروبية⁽⁶⁾.

(1) - المرجع نفسه.

(2) - خليل العناني، "مبادرة الشرق الأوسط الكبير"، مجلة السياسة الدولية، العدد، 158، أكتوبر 2004، ص 98

(3) - عصام سليم الشنطي، "مشروع بوش في المنطقة .. «جمل ولد فأراً»"، جريدة البيان، الإمارات، 02 ديسمبر 2007.

(4) - خليل العناني، مرجع سابق، ص 99.

(5) - عصام سليم الشنطي، مرجع سابق.

(6) - خليل العناني، مرجع سابق، ص 99.

الأستاذة: التومي زينب

إن مشروع الشرق الأوسط الكبير أو الجديد الذي لا كبير فيه ولا جديد إنما يهدف إلى حماية المصالح الأميركية وإسرائيل وإلى تصفية المقاومة الوطنية في لبنان وفلسطين والعراق ومن ثم استكمال المشروع الأمريكي-الإسرائيلي في المنطقة تحت عنوان السلام ومبدأ الدولتين للوصول إلى تطبيع في العلاقات العربية-الإسرائيلية.⁽¹⁾

كذلك كانت المبادرة أول خطوة في طريق الألف ميل الأمريكي تجاه تغيير أحوال المنطقة لضمان تحقيق مصالحها وتكرز جهودها لإعادة هيكلة البنية المعرفية والفكرية في المجتمعات، ويبدو أن الولايات المتحدة بدأت في تنفيذ بعض خططها التي أضرمتها قبل الحرب على العراق فيما يعر بتغير خريطة الشرق الأوسط، ومن خلال تجربتها مع العراق قررت البدء في مرحلة التغير الجماعي وليس كل دولة على حدة.⁽²⁾

وتزامن ظهور هذا المشروع مع ظهور خريطة الكولونيل الأمريكي «رالف بيتر» التي تم نشرها في مجلة القوات المسلحة الأميركية لأول مرة في جوان 2006، تحت عنوان «حدود الدم: كيف يمكن للشرق الأوسط أن يبدو بشكل أفضل؟»، وعلى الرغم من أن هذه الخريطة لم تصدر عن جهة رسمية أميركية فقد تم استخدامها في كلية الدفاع بحلف «الناو» لتدريب كبار قادة وضباط الجيش، وترتكز هذه الخريطة على خرائط قديمة وضعت للشرق الأوسط منها الخرائط التي وضعت بعد الحرب العالمية الأولى في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق وودرو ويلسون، ووصف «بيتر» الحدود الموضوعة في الشرق الأوسط وأفريقيا حالياً بأنها حدود مشوهة وضعها الأوروبيون لتمرير مصالحهم.⁽³⁾

ويقودنا النظر إلى خريطة «بيتر» إلى تغييرات عدة، لعل أهمها في منطقة مثلث باكستان وأفغانستان وإيران عبر اقتطاع بلوشتان المستقلة من حدود الدول الثلاث، إضافة إلى دولة كردستان التي تضم أجزاء من سوريا والعراق وتركيا الحالية وإيران، ثم اقتطاع جزء آخر من إيران لصالح أذربيجان، ثم دولة للسنة في العراق تجمع بين مساحات من العراق وسوريا، حيث تتواجد الأغلبية السنية، ودولة للعلويين على الساحل السوري ودولة للشيعية العرب معظمها على الأراضي العراقية تحاصر الكويت والإمارات والبحرين، أما السعودية فكان لها نصيب الأسد من رؤية «رالف بيتر» لإعادة الهيكلة، حيث رأى أن ينضم الجزء الشمالي منها إلى «دولة الأردن الكبرى» على أن يتم صناعة دولة مقدسات في مكة والمدينة «أشبه بالفاتيكان» بينما يتم ابتلاع الجزء الجنوبي منها ضمن إطار الحدود اليمنية.⁽⁴⁾

لم يتوقف سيل الخرائط حتى بعد اندلاع ثورات الربيع العربي، ففي سبتمبر 2013 ظهرت أطروحات أخرى 2013-2014، على مدى العامين الماضيين، تم عرض أطروحات أخرى لتقسيم المنطقة عبر مراكز الدراسات الاستراتيجية ومنابر الصحافة العالمية، لا ترقى هذه الأطروحات لتوصيفها بـ(المخططات) لأنها أولاً أقرب للتوقعات، وثانياً، أنها قد جاءت في كتابات بعض المحللين، ولم تأت من دائرة صنع القرار، ثم أنها ثالثاً تخلو

(1) - عصام سليم الشنطي، "مشروع بوش في المنطقة، مرجع سابق.

(2) - خليل العناني، مرجع سابق، ص100.

(3) - محمد السيد سليمان، "خطط التقسيم.. من «سايكس بيكو» إلى «الشرق الأوسط الجديد»، جريدة المصري اليوم الأربعاء 01-11-2017

(4) - المرجع نفسه.

المشاريع والمخططات الاستعمارية تجاه الوطن العربي

من هدف استراتيجي جامع يربط بينها. ضمن تلك الأطروحات، أطروحة (الدولة المدنية)، النموذج الذي يتوقع أن ينتشر في الشرق الأوسط خلال العقود القادمة: القدس-الحجاز- دبي- بغداد-مصراته- جبل الدروز، كلها مدن مرشحة للاستقلال بذاتها كدويلات ذات طابع خاص. كذلك، هناك فكرة تقسيم باكستان وأفغانستان لـ 4 دول، وهناك مقال النيويورك تايمز الشهير: كيف يمكن أن تتحول 5 دول لـ 14 دولة؟ بعض التوقعات تتنبأ بضربة جوية ضد إيران ترد عليها إيران وحزب الله بمهاجمة إسرائيل، وبعض دول الخليج بالصواريخ، ومع تصاعد المعارك تقوم إيران بإغلاق مضيق هرمز، يعقب ذلك تقسيم إيران وإنشاء الدولة الشيعية العربية. تتفق معظم هذه الأطروحات على أن: مصر وتركيا والسعودية ستستعصي على التقسيم بمعناه المفهوم، ولكن يقطع منها: (سيناء من مصر- كردستان من تركيا- الحجاز وجنوب غرب وشرق السعودية)، يُخطط لهذه الدول الثلاث أن تنتهي إلى مصير الدول الفاشلة، أم الدول العربية التي سيتم تقسيمها إن عاجلاً أو آجلاً، فهي: العراق- سوريا- اليمن- ليبيا- لبنان.⁽¹⁾

الخلاصة:

تحقيق وتكريس التجزئة العربية محور السياسة الغربية، وكان دخول الولايات المتحدة إلى ميدان التنافس واقتسام النفوذ متأخرة مقارنة ببريطانية وفرنسا، ولم يتوقف التخطيط الاستعماري للسيطرة واقتسام النفوذ فمئذ أقدم العصور تنبه الغرب لأهمية المنطقة العربية الجيوستراتيجية، وثرواتها الدفينة واعتبر الغرب المنطقة العربية منطقة صراع مستمر مع الغرب.

إن الهيمنة الأجنبية كانت ومازالت تقف حاجز أمام طموحات قيام أي مشروع وحدوي كمشروع محمد علي والشريف حسين...، لتحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية وذلك بزرع سياسة فرق تسد والعمل على خلق انقسامات طائفية وعرقية ودينية لتنفيذ مخططات التفيت. ومما ساعده على ذلك انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وتشتيت القوى العربية واحتلال العراق.

عقب حرب الخليج الثانية وأثناء الحصار الأمريكي على العراق، كانت المنطقة العربية عرضة إلى محاولة صياغة جديدة لأوضاعها وتعد المحاولة الثالثة بعد محاولتين سابقتين لترتيب خارطتها الجغرافية-السياسية، وهذا وفق مصالح الدول الكبرى المهيمنة على النظام العالمي وكانت المحاولة الأولى بعد الحرب العالمية الأولى بعد انحسار النفوذ العثماني أما الصياغة الثانية فقد كانت بعد الحرب العالمية الثانية حيث تمت صياغة العلاقات الدولية بما يخدم المنتصرين فنالت الدول العربية وبقيت السيطرة بأطرها الجديدة السياسية والاقتصادية فبقيت هذه الدول ترزح تحت الهيمنة والتبعية للدول الاستعمارية في إطار علاقات التجزئة.

ومع نهاية الحرب الباردة وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام العالمي حاولت هذه الأخيرة هذه المرة صياغة جديدة للأوضاع بإعادة تشكيل خارطة جغرافية سياسية جديدة تستهدف تعميق التجزئة والتبعية وفق التحولات الجديدة.

(1) - إيهاب شوقي، "حدود الدم في حيز التنفيذ"، ANN شبكة الأخبار العربية الاثنين 25 مايو، 2015

المصادر والمراجع:

- ملف وثائق فلسطين وزارة الإرشاد القومي الهيئة العامة للاستعلامات الجزء الأول 637-1949.
- حسن صبري الخولي، فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، الجمهورية العربية المتحدة، 1968.
- جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ط8، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت: دار العلم للملايين 1987.
- محسن صالح، وثيقة كامبل بنرمان.. حقيقتي أم مزيفة؟!، الجزيرة انترنيت.
- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1922، بيروت: دار النهضة العربية.
- محمود صالح المنسي، الشرق العربي المعاصر 1990.
- رأفت غنيمي الشبخ، تاريخ العرب المعاصر، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- خيرية قاسميه، "تطور السياسة الأمريكية في الوطن العربي فترة ما بين الحربين"، مجلة المستقبل العربي، العدد 4، أبريل 1981.
- مصطفى أحمد عبد الرحيم، الولايات المتحدة والمشرق العربي، سلسلة عالم المعرفة 1978.
- إبراهيم خليل العلاف، "جون فوستر دالاس وسياسته الشرق أوسطية 1953-1959"، جريدة دنيا الوطن، بغداد، 1916/30/22.
- وثائق إسرائيلية قديمة تتحدث عن حروب المنطقة المعاصرة، الجزيرة نت، 2016/2/19.
- أحمد عبد الله، "خطة أودد ينون: إسرائيل الكبرى"، جريدة احوال مصر 2016/09/07.
- عبد العزيز التركي "الظل اليهودي وراء مشروعات التقسيم"، مجلة البيان، العدد: 352، 2016/1/9.
- مشروع «برنارد لويس» لتقسيم الشرق الأوسط.. الماضي والحاضر والمستقبل خرائط "جريدة الأمة: الاثنين/مايو
- عبد العليم محمد، "الشرق الأوسط الكبير .. بين الأمس واليوم"، جريدة الأهرام، الأربعاء 15 من رجب 1438 هـ 12 أبريل 2017 السنة 141 العدد 47609.
- لقاء مكّي، "الشرق الأوسط الجديد.. اختلاق الفوضى"، الجزيرة انترنيت.
- عصام سليم الشنطي، "مشروع بوش في المنطقة .. «جمل ولد فأراً»"، جريدة البيان، الإمارات، 02 ديسمبر 2007.
- محمد السيد سليمان، "خطط التقسيم. من «سايكس بيكو» إلى «الشرق الأوسط الجديد»، جريدة المصري اليوم، الأربعاء 01-11-2017 23:54.
- ايهاب شوقي، "حدود الدم في حيز التنفيذ"، ANN شبكة الأخبار العربية الاثنين 25 مايو، 2015.
- أنس أبو عريش، ما هو الفرق بين العرق والاثنية؟ ولماذا يعتبر البعض -العرق- جريمة؟، جريدة دنيا الوطن، انترنيت، تاريخ النشر: 20-10-2016.